

دور غلاء المهور في ارتفاع العنوسة عند الفتيات وعزوف الشباب عن الزواج

إعداد

الأستاذ/ بسام محمد أبو عليان

محاضر غير متفرغ بجامعة

القدس المفتوحة- الأمة للتعليم المفتوح

ورقة علمية مقدمة إلى جمعية التيسير للزواج والتنمية وقسم الخدمة الاجتماعية

بالجامعة الإسلامية لليوم العلمي بعنوان:

"غلاء المهور.. الواقع والمأمول"

الجامعة الإسلامية- غزة، الاثنين ١٦/٥/٢٠١١م

تقديم:

يعتبر الزواج أحد الأنساق الفرعية في النظام الاجتماعي الأسري، مما يعني أن الزواج كنسق اجتماعي فإنه يؤثر ويتأثر ببقية النظم الاجتماعية الأخرى كون أن العلاقة بينها علاقة تبادلية. أي أن الزواج يتأثر بالأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتعليمية والصحية في المجتمع. والزواج كظاهرة اجتماعية له صفة العالمية موجود في كل المجتمعات الإنسانية بصرف النظر عن درجة تحضرها وتطورها أو تأخرها وتخلفها. و"الميل إلى الجنس الآخر" هي فطرة فطر الله الناس عليها. قال تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم ٣٠]. وقد حظيت ظاهرة الزواج باهتمام بالغ من قبل علماء الاجتماع فدرسوا الظاهرة من كافة جوانبها، كون أن الزواج هو الخطوة السابقة على بناء وتشكيل الأسرة التي تعتبر النواة الصلبة في تكوين المجتمعات الإنسانية.

والزواج في أبسط معانيه هو ارتباط بين رجل وامرأة يهدف إلى إشباع الحاجات الجنسية بصورة يقرها الدين وترتضيها قواعد وثقافة المجتمع، بالإضافة إلى إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية. ومن هذا المعنى نستنتج أن الزواج موجود منذ خلق الله تعالى الخلق، فكانت أول حالة زواج عرفتها الإنسانية هي حينما ارتبط آدم عليه السلام بحواء، فأنجبا أولادا، ولما كبر الأولاد تزوجوا وأنجبوا، وهكذا استمرت الحياة. وقد مر الزواج في عدة مراحل إلى أن وصل إلى صورته المتعارف عليها الآن. إلا أن علماء الاجتماع والانثروبولوجيا اختلفوا حول مسألة تطور شكل الزواج منذ بداياته في المجتمعات الإنسانية الأولى حتى وصل إلى شكله المتعارف عليه الآن، وقدموا في ذلك تفسيرات مختلفة، ومن بين هذه التفسيرات أن الزواج مر في ثلاثة مراحل رئيسية: **المرحلة الأولى:** المشاعية – الإباحية إذ كان الفرد في هذه المرحلة يشبع حاجاته الجنسية بصورة مشاعية وإباحية دون أية ضوابط دينية أو أخلاقية أو اجتماعية. **المرحلة الثانية:** المجتمعات الأمومية، أي أن القرابة فيها كانت تسير في خط الأم، وكان الزوج والأبناء يقيمون عند أهل الزوجة ويحملون اسم عائلة الزوجة. **المرحلة الثالثة:** المجتمعات الأبوية، أي أن القرابة كانت تسير في خط الأب، وكانت الزوجة والأبناء يقيمون عند أهل الزوج ويحملون اسم عائلة الزوج. إلا أن هذه التفسيرات ليس لها أي سند علمي يؤكد صحتها وتبقى مجرد اجتهادات وتخمينات.

أما بالنسبة لأنماط وأشكال الزواج في المجتمع العربي الجاهلي قبل الإسلام قد بينته أم المؤمنين "عائشة" رضي الله عنها، إذ قالت: "أن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبدا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا

تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليل بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل. ونكاح رابع: يجتمع الناس كثيرا، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أراد دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم". [البخاري ٥١٢٧].

إذن الزواج عند العرب في الجاهلية كان على أربعة أوجه هي:

١. الزواج المتعارف عليه اليوم: يتقدم الرجل لخطبة الفتاة من والدها أو ولي أمرها، ويكون لها مهر معلوم.
٢. الاستبضاع: بعد أن تطهر الزوجة من دم الحيض يرسلها زوجها لأحد الأشراف أو من لهم مكانة اجتماعية رفيعة في المجتمع ليواقعها، على أمل أن يكون الوليد المنتظر له نفس صفات هذا الرجل من حيث الشجاعة أو الكرم أو الغنى أو الجمال أو المكانة الاجتماعية العالية، ولا يجامع الرجل زوجته حتى يبين حملها، بعد ذلك هو مخير إن شاء جامعها وإلا تركها حتى تضع حملها.
٣. زواج الرهط: هو شكل من أشكال الزنا بحيث يجتمع على المرأة أكثر من رجل وهم أقل من عشرة، كلهم يجامعونها، فإذا حملت دعتهم بعد أيام من ولادتها، وذكرتهم بالذي كان منهم، ثم تختار واحدا منهم لتلحق به الطفل. ولا يستطيع أيا منهم أن ينكر أو يمتنع، فيصبح الطفل ابنا لمن وقع عليه الاختيار ويحمل اسمه.
٤. البغايا: هن نساء يمارسن البغاء والزنا، ويضعن علامات (رايات) على أبوابهن لتمييزهن، وليسهل الوصول إليهن، ولا يمنعن من يأتينهن. فإذا حملت ووضعت ألحق طفلها بالذي يرونه مناسبا ولا يمتنع عن ذلك.

وعندما جاء الإسلام بتشريعاته ونصوصه أنكر جميع أشكال الزواج التي كانت في المجتمع الجاهلي ولم يقر منها إلا النوع الأول. وقد رغب الإسلام في الزواج وحث عليه، لأن الزواج هو الخطوة الصحيحة الأولى على طريق بناء الأسرة السليمة، وفي الزواج حفظ للأنسب، واستمرار للجنس البشري. وهناك العديد من الآيات القرآنية التي حثت على الزواج وشجعت، قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [النحل ٧٢]، وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم ٢١]، وقوله: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر ١١]، وقوله: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى ١١].

وهناك العديد من الأحاديث النبوية التي رغبت في الزواج وحثت عليه. فقد روى ابن حجر العسقلاني: "لا رهبانية في الإسلام" [فتح الباري ١٣/٩]. وعن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى" [الكامل في الضعفاء ٣١٠/٧].

وفي حديث آخر حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم معايير اختيار الزوج؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" [ذخيرة الحفاظ ٢٦٦/١]. وفي رواية أخرى عند السيوطي "فساد عريض" [الجامع الصغير ٣٤٧].

يتضح من الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدّم معيار (الدين، والأخلاق، والأمانة) على بقية معايير الزواج الأخرى كالمعيار الاقتصادي، والاجتماعي، والتعليمي، ومكان السكن... إلخ. وهناك الكثير من الأحاديث النبوية التي تحدثت عن فضائل الأخلاق والمكانة التي يحظى بها صاحب الخلق الحسن، فهو يصل في الأجر والثواب درجة الصائم بالنهار والقائم بالليل. ولا يعني هذا التقليل من أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وتأثيرها على عملية الزواج والاستقرار الأسري والتوافق بين الزوجين. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من محاولة تقديم معايير أخرى على معيار الدين، لأن النتيجة ستكون وقوع الفتنة والفساد سواء كان ذلك على صعيد الأفراد أو الأسرة أو المجتمع عموماً. وما الخلافات الأسرية وارتفاع حالات الطلاق والهجر والتفكك الأسري التي تشهدها مجتمعاتنا المعاصرة بشكل كبير إلا بسبب إهمال عنصر "الدين والأخلاق" في أغلب حالات الزواج، والالتفات والتركيز على الجوانب المادية والكماليات.

في المقابل نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم مثلما حدد قواعد لاختيار الزوج الصالح فقد حدد أيضاً قواعد ومعايير لاختيار الزوجة فقال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" [البخاري ٥٠٩٠]. إذن معايير اختيار الزوجة – كما بينها الحديث – هي أربعة: (المال، الحسب، الجمال، الدين)، ثم رجّح صلى الله عليه وسلم أفضل هذه المعايير، وأكثرها أمناً وحفاظاً على سلامة واستقرار الأسرة،

ألا وهو معيار (الدين). وبنظرة تأملية نجد أن المعايير الثلاثة الأولى: (المال، الحسب، الجمال) هي السبب الرئيسي والمحرك الفعال لكافة المشكلات الأسرية في حال انعدام التكافؤ في أي منها بين الزوجين.

ومن صور ترغيب الإسلام في الزواج دعوة ونداء الرسول الله صلى الله عليه وسلم الموجه إلى الشباب: "يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" [البخاري ٥٠٦٦].

إن الشباب في المجتمعات المعاصرة التي تنتشر فيها ثقافة الفضائيات والإنترنت المليئة بالتبرج والسفور والعري والخلاعة والمجون، بالإضافة إلى تزايد معدلات الانحراف الاجتماعي والتحلل الأخلاقي، إن هؤلاء الشباب في أمس الحاجة إلى تلبية هذه الدعوة المحمدية وتطبيق سنة الزواج. إلا أن المعوقات والعقبات التي تقف في طريق تطبيق هذه السنة أكبر من طاقات وقدرات الشباب، ويأتي في طليعة هذه المعوقات (غلاء المهور)، وعدم القدرة على تأمين وتوفير كافة متطلبات الحياة الزوجية، بالإضافة إلى الحصار الصهيوني الخانق على قطاع غزة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى (٢٨/٩/٢٠٠٠م)، وارتفاع الأسعار بشكل فاحش، وسهولة الحصول على الملهيات التي من خلالها يمكن إشباع الحاجات الجنسية بصورة غير مشروعة كالمواقع الإباحية على شبكة الإنترنت والصور الخليعة والأقراص المدمجة التي تروج للأفلام الإباحية، مما يعني إمكانية استغناء الشباب عن الزواج وتكاليفه المرهقة والمبالغ فيها. وعلى الرغم من ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قدم الوصفة العلاجية المناسبة (المؤقتة) لهؤلاء الشباب الذين لم يستطيعوا توفير متطلبات الزواج، عليهم بـ(الصيام)، لأن الفرد أثناء الصيام تبرد وتخفت نار شهوته وترداد روحانياته وإيمانه وتعلقه بالله تعالى، ولا يفكر بأي ملهية من ملهيات الدنيا وشهواتها.

ومن دواعي ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم بالزواج هو الإنجاب، لأنه بالإنجاب يكون استمرار وبقاء المجتمع. فعن المعقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" [سنن أبو داود ٢٠٥٠]، وفي رواية أخرى "فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" [المقاصد الحسنة ١٩٨].

إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة ولا يسع المقام لسردها جميعا. لكن ما يمكن أن نوجزه: أن الإسلام رغب في الزواج وحث عليه، بل أنه قدّم الزواج على فريضة الحج بالنسبة للشباب، لأن في الزواج حفظ للأنسب وصيانة للأعراض، واستمرار لبقاء المجتمع. والزواج في الإسلام له قواعد وأركان يقرها الدين، وكذلك هناك طقوس ومراسم يقرها المجتمع.

وبعد هذا العرض الموجز عن الزواج سننتقل الآن للحديث عن المحور الرئيسي في دراستنا وهو "المهور"، وسنقف عند معنى المهر، والمهر عند الأديان بالإضافة إلى العرب في الجاهلية، وواقع المهور في الأمثال الشعبية الفلسطينية، وما هي الأسباب التي تقف وراء ارتفاع المهور؟، وسنستعين ببعض نماذج وحالات عانت من ارتفاع المهور، وما هي المشكلات الاجتماعية المترتبة على ارتفاع المهور؟، وأخير سنقف عند أهم الطرق للوقاية والحد من ظاهرة ارتفاع المهور.

تعريف المهر

المهر في اللغة:

يقال مهر المرأة، أي جعل لها مهرا وأعطاهها مهرا، وأمهر المرأة: سمي لها مهرا. والمهر له مسميات عديدة عند العرب منها: **صداق ونحلة**: الله تعالى: {وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء ٤]. ومن معانيه أيضا "فريضة": قال تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً} [البقرة ٢٣٦]. وقوله تعالى: {فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء ٢٤]. ومن الأسماء الأخرى للمهر: (حباء، أجر، عقر، علائق، خرس، عطية). وقد جمعت الأسماء جميعها في بيتي الشعر التاليين:^١

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| صداق ومهر نحلة وفريضة | حباء وأجر ثم عقر علائق |
| وطول نكاح ثم خرس تمامها | ففرده وعشر عد داك موافق |

المهر في الشرع:

"هو ما يجب للمرأة على الرجل من المال، أو المنفعة المقومة بالمال في عقد زواج صحيح، أو دخول بشبهة، أو وطء في عقد نكاح فاسد"^٢.
تعريف آخر: "هو مال يقدمه الزوج لزوجته على أنه هدية لازمة وعطاء واجب يثبت لها لمجرد العقد الصحيح، أو الدخول في العقد الفاسد، أو بالوطء بشبهة"^٣.

^١ محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج ٢، ط ١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٣، ص ٥٧.

^٢ المرجع نفسه، ص ٥٦.

^٣ قحطان الحاجي، أحكام المهر في القانون السوري، منتديات طلاب الحقوق - الزقازيق،

<http://www.law-zag.com/vb/forum104/thread4725.html>

المهر عند الديانات^٤

أولا/ المهر عند اليهود:

اختلفت أحكام المهر عند طوائف اليهود، وهذا الاختلاف نابع من مسألة هل أن الخطبة عقدا أم لا؟. وقد اعتبرت طائفة "القرائين" أن الخطبة عقد، والمهر ركن لا تصح الخطبة بدونها. أما طائفة "الربانيين" فقد اعتبروا أن الخطبة عقد وتصح بدون المهر. أما طائفة "السامريين" لا خلاف عندهم في هذه المسألة نظرا لانتشار ظاهرة زواج البديل عندهم هذا من ناحية، ولقلة عددهم من ناحية أخرى.

وقد قسم اليهود المهر إلى (معجل ومؤجل)، فالمتعجل يتم تحديده في العقد، ولا يجوز الدخول بالمرأة قبل دفعه إليها إن كانت بالغة، أو لأبيها إن كانت قاصرة. ولا يصح التنازل عن المهر لأنه ركن من أركان عقد الزواج. والمهر عند اليهود ليس له مقدار محدد وتحدده الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

ثانيا/ المهر عند المسيحيين:

يسمى المهر عند المسيحيين بـ(الدوطة، أو البائنة). وممن أخذ بالتسمية الثانية "الروم الأرثوذكس"، وقد عرفوها: "كل ما يتفق على تقديمه للمرأة أو أقرانها في سبيل الزواج". ولا يجوز لمن تعهد بالبائنة أن يتراجع عنها.

شروط نفاذ البائنة:

- أ- إقامة الزواج قانونيا.
- ب- أن يكون مقدم البائنة حر التصرف والإرادة.
- ج- أن تكون البائنة مالا مملوكا.

التصرف في البائنة:

لا يمكن التصرف في البائنة إلا بالاتفاق بين الزوجين، وإن أخذها الزوج فهي بمثابة أمانة عنده يجب الحفاظ عليها لمصلحة الأسرة، أما في حالة الخلاف بين الزوجين فيتم استثمارها بترخيص من المحكمة الروحية.

مصير البائنة بعد الطلاق:

تعاد البائنة إلى الزوجة بعد الطلاق، بعد القيام بعملية مراجعة وحساب لما تم إنفاقه على البيت منها. وإذا حصل الطلاق لأسباب تعود إلى الزوجة وكان لها أبناء فتعود البائنة إلى الأبناء ويتولى أمرها الزوج حتى يبلغ الأبناء رشدهم، فيأخذ كل واحد منهم نصيبه من البائنة.

⁴ لمزيد من المعلومات انظر: المرجع نفسه.

ثالثا/ المهر عند العرب في الجاهلية:

المهر هو مال يقدمه الزوج إلى زوجته، وكان للأب فيه نصيب كبير. ومن الأسماء التي أطلقوها على المهر (الحلوان أو الناجعة)، أي الزيادة في المال. فكان الرجل حينما تخطب ابنته يقول لها: "هنيئا لك الناجعة"، أي هنيئا لك ما يساق من الإبل ليزيد مالك. ويعتبر العرب في الجاهلية أن المهر فرض لازم لصحة الزواج، ودلالة على شرعيته، ولم يكن للمهر حد معلوم عندهم، فكان يحكم مقدار المهر المكانة الاجتماعية لأهل الفتاة، ومكان الإقامة والعادات والتقاليد.

رابعا/ المهر في الإسلام:

المهر ليس ركنا من أركان عقد الزواج ولا شرطا له، إلا أن الحكمة من المهر في الإسلام هو بيان أهمية ومكانة عقد الزواج من جهة، وحفاظا على مكانة وكرامة المرأة وإنسانيتها من جهة ثانية. ومن جهة ثالثة ليجعل الزوجان يقدسان الحياة الزوجية وعدم إنهاؤها والتفريط فيها بسهولة لأتفه وأهون الأسباب، ولحماية الأسرة من العبثية التصرفات الطائشة التي تعبت بالحياة الزوجية.

والمهر حق يجب على الرجل أن يدفعه للزوجة، وإن لم يقدّم بذلك أو تراجع عن وعده، أو أضمر النية بعدم دفعه فقد عرّض نفسه لسخط الله تعالى، ففي الحديث: عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أيما رجل تزوج امرأة فنوى أن لا يعطيها من صداقها شيئا مات يوم يموت وهو زان" [مجمع الزوائد ٤/١٣٤].

مقدار المهر:

لم يرد نصا في القرآن الكريم أو في السنة المحمدية يحدد قيمة المهر قليله أو كثيره ليقيد به أفراد المجتمع، إنما ترك الأمر مفتوحا، وهذا من تيسير الدين لأن الذي يتحكم في مقدار وقيمة المهر تفاوت الناس في المستوى الاقتصادي والمكانة الاجتماعية، بالإضافة إلى الاختلاف في الطباع والعادات والتقاليد. وهذه الجوانب تختلف من مجتمع لآخر؛ فعادات الزواج وقيمة المهور تختلف في مجتمعات المغرب العربي عن مجتمعات المشرق العربي، وكذلك تختلف عادات الزواج وقيمة المهور في المجتمع الواحد من فترة زمنية لأخرى، فعادات الزواج وقيمة المهور تختلف في المجتمع الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨م عما هو عليه الحال الآن. بل أنها تختلف في المجتمع الواحد من طبقة اجتماعية لأخرى. فكل يدفع المهر حسب طاقاته وإمكانياته ومركزه الاجتماعي وحالته الاقتصادية، فقيمة المهور عند أبناء الطبقات الاجتماعية العليا تختلف عن الطبقات المتوسطة والدينية.

وقد تنوعت الأحاديث والشواهد النبوية التي تحدثت عن المهور، وهناك العديد من الأحاديث التي رغبت في تقليل قيمة المهر ودعت إليه، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير نساء أمتي: أصبحن وجهاً، وأقلهن مهراً" [الجامع الصغير ٤٠٩١].

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرضيت عن نفسك ومالك بنعلين؟". فقالت: نعم. فأجازه". [أحمد، وابن ماجه، والترمذي].

وعن أنس رضي الله عنه، أن أبا طلحة خطب أم سليم، فقالت: "والله ما مثلك يرد... ولكنك كافر وأنا مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري، ولا أسألك غيره... فكان ذلك مهرها"^٥.

وعن عامر بن عقبة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير النكاح أيسره" [أبو داود ٢١١٧]. وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من يمن المرأة: تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها". قال عروة: يعني تيسير رحمها للولادة. [أحمد ٦/٧٧].

أما من استدل على أن المهر لا حد له من الكثرة فقد استندوا على الموقف الذي حدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه ركب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس ما إكثركم في صدق النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم، فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفن، وما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمئة درهم، قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش، فقالت له: يا أمير المؤمنين، نهيت أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم؟ قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء ٢٠] قال: فقال: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر، قال: ثم رجع فركب المنبر، فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. [مسند الفاروق ٥٧٣/٢]

⁵ السيد سابق، فقه السنة، ج ٢، ط ١، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٩٤.

الهجر في الأمثال الشعبية الفلسطينية¹

التراث الشعبي هو المدون في العقل الجمعي عند أفراد المجتمع، والذي يتم تناقله وتوارثه من السلف إلى الخلف، وهو يعكس تجارب الأولين ونظرتهم إلى الحياة والمواقف الاجتماعية المختلفة، والتراث الشعبي — بما فيه الأمثال الشعبية — تتناول كافة جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والصحية. وتعتبر الأمثال الشعبية هي المعبر الحقيقي عن العادات والتقاليد الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات. وفي هذا المقام سنقف عند الأمثال الشعبية الفلسطينية فيما يتعلق بقضية المهور.

هناك العديد من الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تحدثت عن غلاء المهور مبررة ومدافعة عن هذه الظاهرة. ومن بين هذه الأمثال قولهم: "ارفع المهر بهرب الصهر"، وقولهم: "اللي ما بده يجوز بنته يزود مهرها". أي أنهم جعلوا من غلاء المهور وارتفاع قيمته سبباً من أسباب صرف الخطاب والشباب عن الزواج، بسبب عدم الرغبة الآباء في تزويج بناتهم، أو عدم رغبتهم — لأي سبب من الأسباب — في إقامة علاقة نسب مع المتقدمين للخطبة.

وهناك من الأمثال التي تبرر رفع قيمة المهور كقولهم: "إلي بده المليحة بدفع مهرها"، أي من يرغب في الزواج من الفتاة الجميلة كاملة الأوصاف لا يهمله قيمة المهر المطلوب وكثرته طالما سيظفر بالفتاة المليحة والجميلة. وقد ذهب المثل إلى أبعد من ذلك حينما قالوا: "اللي بده الملاح يبيع السلاح"، أي أن الشاب قد يلجأ إلى بيع السلاح من أجل أن يحصل على المال ليوفر قيمة المهر المطلوب ليظفر بالفتاة التي يرغب في الزواج منها.

وقد نادى المثل بعدم الندم أو التباكي على ما يدفع من مهر للفتاة الجميلة مهما علت قيمته، فقالوا: "يا ميخذ الملاح لا تكون نواح". بل أن الأمثال اعتبرت أن من يملك المال يستطيع أن يخطب بنت السلطان فقالوا: "إلي بدفع فلوسه بنت السلطان عروسه".

وفي مواضع أخرى بينت الأمثال السبب أو المبرر في ارتفاع قيمة المهر، حيث يعتقدون أنه كلما ارتفع مهر الفتاة كلما تمسك بها زوجها أكثر، وقل لجوءه للتفريط بالحياة الأسرية أو تعرضها للتفكك والتحلل، لذلك قالوا: "الجيزة إلي ببلاش طلاقها أهون"، إلا أن هذه المثل لا تتفق مع الأحاديث النبوية التي زهدت في قيمة المهور ورغبت في التقليل من قيمتها، وهذا يعكس الاعتقاد الخاطئ عند الكثير من الناس أنه إن قل قيمة المهر فهو علامة من علامات التقليل من قيمة الفتاة ومكانتها.

إن المبالغة في ارتفاع قيمة المهور تترتب عليه الكثير من المشكلات ولعل أبرز هذه المشكلات (عزوف الشباب عن الزواج، وارتفاع ظاهرة العنوسة عند الفتيات) وهذا ما سنثبته

⁶ لمزيد من المعلومات انظر: عمر أحمد خليل، المرأة والمثل الدارج في فلسطين، مجلة التراث والمجتمع، تصدر عن: جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، د.ت.

لاحقا خلال الصفحات المقبلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى في هذا المثل وأشباهه دليل واضح على أن الكثير مما يحكم سلوكيات وممارسات أفراد المجتمع تجاه بعض القضايا الاجتماعية هي عادات وتقاليد اجتماعية خاطئة وليست سلوكيات وأحكام إسلامية صحيحة، وهناك الكثير من الجور والظلم الذي يلحق بأفراد المجتمع هو نتيجة معتقدات وتقاليد خاطئة ويتم التستر عليها باسم الدين كما هو الحال في قضايا حرمان المرأة من الميراث وحق التعليم والعمل.

أسباب غلاء المهور

الأسباب كثيرة ومتنوعة التي تقف وراء تعنت الآباء والأسر في مسألة المهر والمطالبة بمهور مرتفعة، ومن أبرز هذه الأسباب – التي هي في الأغلب نتيجة اعتقادات خاطئة وعادات اجتماعية سلبية ليست من الدين في شيء –:

1. الحصار الصهيوني الخانق على المجتمع الفلسطيني:

فقد فرض الحصار الصهيوني الخانق على المجتمع الفلسطيني منذ اندلاع انتفاضة الأقصى (٢٨/٩/٢٠٠٠م) والذي لازال مستمرا حتى يومنا هذا، وقد اشتد على قطاع غزة بشكل أكبر بعد إفرازات الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية (٢٥/١/٢٠٠٦م) التي أدت إلى فوز الإسلاميين في أغلب مقاعد المجلس التشريعي، وقد ازداد الأمر سوء على سوء بعد وقوع الانقسام (١٤/٧/٢٠٠٧م).

هذا الحصار الصهيوني الجائر ترتبت على الكثير من المشكلات الاجتماعية التي لا عد لها ولا حصر، حيث أدى إلى ارتفاع كبير في نسبة البطالة التي تجاوزت الـ (٦٥%) بحسب إحصائيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، وهذه نسبة لم يشهدها المجتمع الفلسطيني من قبل، ومن أبرز هذه المشكلات الاجتماعية: (ارتفاع معدلات الفقر، انتشار جريمة القتل على جرائم الشرف، الثأر، السرقة، الطلاق، التسول، العنف الأسري، التفكك الأسري، تعاطي المخدرات) بالإضافة إلى مشكلة "غلاء المهور" موضوع حديثنا⁷.

ونظرا لظروف الحصار الصهيوني المحكم على قطاع غزة فبدلا من أن تعمل الأسرة الفلسطينية على التخفيف من حدة مشكلات الزواج، نجدها سارت في اتجاه عكسي حيث ارتفاع قيمة المهور تحت ذرائع اجتماعية سلبية. هذا الأمر (غلاء المهور) دفع بالكثير من الشباب للعزوف عن الزواج – ليس عزوفا من أجل العزوف – إنما بسبب عدم قدرتهم على توفير متطلبات ونفقات الزواج المبالغ فيها، والتي هي في أكثر الأحيان تدخل في باب الترف

⁷ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: بسام أبو عليان، المشكلات الاجتماعية الناجمة عن الحصار، ورقة بحثية مقدمة إلى اليوم الدراسي بعنوان: "الحصار وانعكاساته على المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة"، جامعة القدس المفتوحة - خانينوس، السبت ١٩/١٢/٢٠٠٩م.

والإسراف والكماليات والتباهي والتفاخر الاجتماعي، وليست من أساسيات الزواج. هذا العزوف ترتب عليه مشكلة اجتماعية أكبر في المجتمع الفلسطيني وهي ارتفاع ظاهرة (العنوسة) عند الفتيات.

وفي استطلاع للرأي قام به الباحث حول "أسباب ارتفاع ظاهرة العنوسة عند الفتيات وعزوف الشباب عن الزواج في المجتمع الغزي" على (١٠٠) شابا وشابة، تبين أن (٦٤%) من المستطلعة آراؤهم يرون أن ارتفاع ظاهرة العنوسة في المجتمع الفلسطيني بسبب (غلاء المهور)، و(٧٥%) يرون أن (غلاء المهور) هو السبب في عزوف الكثير من الشباب عن الزواج. ويرى (٣٢%) من العينة أن من أسباب ارتفاع ظاهرة العنوسة في المجتمع الفلسطيني هو "عزوف الشباب عن الزواج". كما بيّن الاستطلاع أن (٨٤%) من العينة يرون "عدم قدرة الشباب على تأمين السكن ومتطلبات الزواج" هو من أسباب عزوف الشباب عن الزواج.

وعليه؛ يمكن القول: أن العلاقة بين عزوف الشباب عن الزواج وارتفاع نسبة العنوسة عند الفتيات في المجتمع الفلسطيني هي علاقة تبادلية بحيث كل منهما مرتبطة بالأخرى، وكلاهما ترتبطان بشكل رئيسي بظاهرة غلاء المهور. هذا بالإضافة إلى الحصار الصهيوني الجائر الذي زاد الطين بلة ورفع من معدلات هذه المشكلات الاجتماعية الأسرية.

ولم تتفق دراسة اجتماعية علمية حول نتائج دراسة مشكلة اجتماعية معينة كاتفاقها على نتائج ظاهرة غلاء المهور. بحيث أجمعت جميع استطلاعات الرأي التي أجريت في العديد من المجتمعات العربية على أن السبب الرئيسي الذي يقف وراء العزوف عن الزواج والعنوسة هو ارتفاع قيمة المهور. خذ على سبيل المثال: أظهرت نتائج دراسة أجراها طلاب من كلية الطب في جامعة الإمارات حول "الأسباب الرئيسية لظاهرة العنوسة": أن (٣٨%) من عينة البحث يرون أن غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج هما أحد الأسباب الرئيسية للعنوسة^٨. وفي استفتاء آخر أجري على (١٧٦) شابا وشابة أجاب (٤٨%) من العينة أن غلاء المهور وتكاليف الزواج العالية هي السبب في العنوسة^٩.

٣. ارتفاع الأسعار والغلاء الفاحش:

مما لا شك فيه، طالما هناك حصار صهيوني خانق على قطاع غزة، وغياب فرص العمل لأعداد الخريجين الكبيرة، وارتفاع مستمر لمعدلات البطالة، وتفشي الفقر في المجتمع الفلسطيني، سترتب على ذلك غلاء فاحش في كافة الأسعار الأساسية منها والكمالية. وقد

^٨ فضيلة عرفات، ظاهرة تأخير سن الزواج (العنوسة) في المجتمع العراقي، مركز النور،

<http://www.alnoor.se/article.asp?id=41149>

^٩ العنوسة في المجتمع العربي، موقع: عالم بلا مشكلات،

<http://www.noo-problems.com/vb/showthread.php?t=58290>

ازداد الأمر سوء على المجتمع الفلسطيني بعد أن قام الاحتلال الصهيوني بإغلاق كافة المعابر التجارية التي تربط قطاع غزة بالعالم الخارجي، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع قيمة السلع – بكافة أنواعها – إلى ثلاثة أضعاف سعرها الطبيعي.

ومما لا شك فيه أن هذا الغلاء سينعكس على الأسرة والزواج. لذلك فقد تجاوزت قيمة المهر المقدم في بعض مناطق قطاع غزة على الخمسة آلاف دينار أردني، في حين أن هذا المبلغ لم يكن هكذا في فترة ما قبل الحصار، حيث كان المهر لا يتجاوز الثلاثة آلاف دينار أردني في أعلى معدلاته. وفي ظل شح المواد الخام وعدم القدرة على توفير السكن، وعدم توافر السلع الأساسية لتأثيث البيوت لجأ الكثير من الشباب المقبلين على الزواج إلى ترميم غرف النوم القديمة، كذلك انتشرت ظاهرة جديدة على المجتمع الغزي وهي الحصول على (الذهب الصيني) الذي هو أقل جودة ومكانة مقارنة بالذهب المتعارف عليه، هذا إلى جانب الارتفاع الكبير في أسعار الملابس وبقية تجهيزات بيت الزوجية. بمعنى آخر، أن تكاليف ومصروفات حالة زواج واحدة في الوضع الاقتصادي الحالي تعادل حالتي أو ثلاثة حالات زواج في المجتمع الفلسطيني قبل الحصار.

وتشير نتائج الاستطلاع الذي قمنا به أن (البطالة وعدم توفر فرص العمل، وغلاء الأسعار) هما من أسباب عزوف الشباب الفلسطيني عن الزواج، وكانت النسب على التوالي: (٨٣%) و(٥٦%).

إن ظاهرة غلاء الأسعار وارتفاع متطلبات الحياة الاقتصادية ليست خاصة بالمجتمع الفلسطيني فحسب بل أصابت هذه الظاهرة كل المجتمعات العربية في ظل المشكلات الاقتصادية العالمية، ففي المجتمع السعودي – على سبيل المثال – يقدر إجمالي تكلفة الزواج بأكثر من مائتي خمسين ألف (٢٥٠,٠٠٠) ريالاً، موزعة ما بين (مهر، وشبكة، وأثاث منزل، وهدايا، وحفل زواج) وغير ذلك. وهو رقم أصبح معظم الشباب السعودي لا يستطيع توفيره ولا الحصول عليه.¹⁰

٣. اعتقاد بعض الأسر كلما ارتفعت قيمة المهر، كلما عكس قيمة ومكانة الفتاة:

إن هذا اعتقاد خاطئ ويتنافى مع التوجيهات النبوية التي رغبت في تخفيف قيمة المهر. بل أن الأحاديث بينت أن أقل النساء مهراً أكثرهن بركة وخيرية مقارنة ببقية النساء، ففي الحديث "خير نساء أمتي أصبحهن وجهاً، وأقلهن مهوراً". وهناك الكثير من الأحاديث التي تحدثت عن هذا الجانب وأشرنا لها في موضع سابق.

وتشير نتائج الاستطلاع الذي قمنا به أن (٦٥%) من العينة يرون أن "تدخل الأسرة في تحديد معايير الزواج" هي من أسباب انتشار ظاهرة العنوسة في المجتمع الفلسطيني.

¹⁰ محمد حبيب الفندي، العنوسة أحوال أسباب وتحليل وحلول، دار النشر، دب، ٢٠٠٤. نقلاً عن: فضيلة عرفات: مرجع سابق.

و(٣٢%) يرون أن "الشروط التعجيزية التي يضعها أهل الفتاة" من أسباب عزوف الشباب عن الزواج.

٤. التفاخر والتباهي الاجتماعي:

حيث تلجأ الكثير من الأسر الفلسطينية إلى رفع قيمة المهور من أجل التفاخر والتباهي الاجتماعي بين الأسر وسط المدينة أو القرية أو الحي الذي يقطنون فيه.

إن هذا التصرف يندرج ضمن العادات والتقاليد السلبية والممارسات السلوكية الخاطئة التي أرهقت الكثير من الأسر الفلسطينية، الأمر الذي جعل بعض الأسر تهتم بالكماليات والمظاهر الخارجية ولو كان ذلك على حساب الأساسيات والضروريات، وإن كان ذلك بالدين والاقتراض من أجل أن تظهر الأسرة بالمظهر اللائق أمام الآخرين!!

من صور التفاخر والتباهي: ارتفاع قيمة المهر (المقدم والمؤخر)، غرفة النوم، استعدادات وطقوس الخطوبة، كمية ونوعية الذهب المطلوبة، تكاليف الوليمة الإسرافية، نوع الضيوف والمدعوون، صالة الفرحة، عدد ونوعية السيارات، الزفة، وبعضهم يبالغ بأن يكون للفتاة شقة خاصة بها بعيدا عن بيت الأسرة... إلخ.

ومما يؤكد صحة هذا التوجه ما بينته نتائج دراسة حديثة أجريت في الإمارات العربية المتحدة عن "أسباب تأخر سن الزواج"، حيث بينت أن (٥٠%) من الشباب يرون أن الشروط التعجيزية التي يضعها الأهل تقف حجر عثرة في طريق إتمام زواجهم المبكر، وهي السبب في عزوفهم عن الزواج^{١١}.

وفي دراسة أجريت على المحافظات الست الرئيسية في دولة الكويت على عينة مكونة من (٧٠٠) مواطن ومواطنة، تبين أن (٦٢,٣%) من الرجال و(٥٣,٧%) من النساء يرون أن الأسرة الكويتية تتشدد في مهور البنات. وقد أكد (٧٥,٨%) من الرجال و(٦٤,٧%) من النساء أن معظم المهر يتم إنفاقه على الكماليات. ويرى (٧٩%) من عينة البحث أن ارتفاع المهر يضيف قيمة عالية على الفتاة. وبينت الدراسة أيضا أن (٧٥%) من عينة البحث يرون أن قيمة المهر هي التي تقف عقبة أمام إتمام الزواج أو إلغاؤه^{١٢}.

أما في فلسطين فقد بين استطلاع الرأي أن من أسباب عزوف الشباب عن الزواج: "كمية الذهب المبالغ فيه" بنسبة (٤٦%)، والفرق في المكانة الاجتماعية بين الشاب والفتاة (الحسب والنسب) بنسبة (٤٢%). في حين (٥٢%) يرون أن "الفرق في المكانة الاجتماعية بين الشاب والفتاة" (الحسب والنسب) هو من أسباب ارتفاع ظاهرة العنوسة في المجتمع الفلسطيني.

¹¹ ظاهرة العنوسة وكيفية التعامل معها، http://7orveat.blogspot.com/2011/01/blog-post_9667.html

¹² غلاء المهور وراء عزوف الشباب عن الزواج، جريدة اليوم، <http://www.alamalyawm.com/ArticleDetail.aspx?artid=78375>

٥. اعتقاد بعض الأسر كلما كانت الفتاة جميلة، أو حاصلة على تعليم جامعي، يجب أن يكون مهرها عاليا مقارنة بغيرها ممن لا تتوفر فيهن هذه الصفات.

من الناحية الموضوعية يجب أن تتميز الفتاة الجميلة وذات التعليم العالي عن بقية الفتيات الأخريات اللواتي ليس لهن حظ وافر من الجمال أو تعليم عال، إلا أن هذا التمييز يجب ألا يكون بشكل كبير ومبالغ فيه هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة معايير رئيسية في اختيار الزوجة: (المال، الحسب، الجمال، الدين)، ثم رجّح أهم هذه المعايير وأفضلها وهو معيار (الدين)، كون أن الدين هو الحصن المنيع الذي من خلاله يمكن حفظ البيوت واستمراريتها وضمان لديمومة العلاقة الزوجية في حالة من الاستقرار والهدوء.

وقد بينت إحدى الدراسات أن (٥٢%) من عينة البحث رأوا أن "ضعف الوازع الديني" يقف وراء انتشار ظاهرة العنوسة^{١٣}. وفي دراستنا تبين أن (٢٣%) يرون "عدم تمتع الفتاة بحظ وافر من الجمال" هو سبب من أسباب العنوسة في المجتمع الفلسطيني.

٦. عمل الفتاة في بعض المهن والوظائف مثل: (الطب، الصيدلة، التمريض، التعليم):

يعتقد بعض الآباء أن عمل الابنة في وظيفة ما هو مبرر له كي يغالي في قيمة المهر. وصنف آخر من الآباء يعتقد أنه حينما يتقدم شاب لخطبة الابنة الموظفة أنه جاء لخطبتها طمعا في وظيفتها والراتب الذي تتقاضاه، لذلك يلجأ الآباء إلى رفع قيمة المهر. وهذا الارتفاع في قيمة المهر يعود لأحد سببين:

الأول/ إبعاد وتغيير الشاب في الخطبة، وهو شكل من أشكال الرفض غير المباشر، وهؤلاء قد أخذوا المثل الشعبي القائل: "اللي ما بده يزوج بنته يزود مهرها".

الثاني/ عدم رغبة الأسرة في تزويج ابنتهم باعتبارها مصدر دخل للأسرة، وهي التي تنفق على البيت، وأنه في حال زواجها سيفتقدون هذا المصدر. وهذا يعكس حالة الأنانية التي يعيش فيها الآباء الذين قدموا مصالحهم ورغباتهم على حساب مصلحة ابنتهم، كما يعكس حالة الظلم والغبن الذي تعيشه مثل هذه الفتاة.

ومما يدعم هذا الكلام ما كشفت عنه دراسة سعودية شملت (٧٠٠) فتاة في المدينة المنورة ممن تخطين سن الزواج إلى أن (٨٠%) من الفتيات المتعلقات اللاتي تتراوح أعمارهن بين (٣٠-٤٠) سنة، أن نسبة العنوسة ترتفع عند الفتيات اللواتي يحصلن على رواتب عالية. وفي دراسة أخرى أجريت في السعودية أيضا بينت أن (٢٣%) من آباء الفتيات الموظفات

¹³ العنوسة في المجتمع العربي، مرجع سابق.

يرفضون تزويج ابنتهم الموظفة لأنه متزوج من اثنتين وهو بحاجة إلى راتب ابنته حتى يتسنى له الإنفاق على الأسترين^{١٤}.

٧. اعتقاد البعض كلما كان المهر مرتفعاً كلما كان أكثر إجاباً وتقبيداً للشباب من

تعدد الزواج، وفي ذلك توفير الأمان لابنتهم وحمايتها من ظاهرة التعدد:

لقد جهل هؤلاء الآباء أنه في الحالة التي تصل فيها الحياة الأسرية إلى جحيم لا يطاق، وأنه لا يمكن الاستمرار في العلاقة الزوجية سيقدم الزوج على الانفصال مهما كانت التكاليف التي ستنتظره عالية وكبيرة.

إن كان المؤخر باهظاً قد يلجأ الزوج إلى اتباع أسلوب تضيق الخناق على الزوجة، والإهمال واللامبالاة، واستخدام الإيذاء النفسي – المعنوي، أو العنف والعقاب الجسدي حتى تصل الزوجة إلى الحد الذي تطلب فيه الطلاق ولن تتل ذلك إلا بالتنازل عن كل حقوقها – التي كان يعتقد الأهل من قبل أنها ستكون طوق الأمان والنجاة لابنتهم – .

إذن ارتفاع المهور ليس واقياً للأسرة من التفكك والتحلل، وليس أماناً للحفاظ على استمرار الزواج وضمان مستقبل الفتاة طالما أن الأسرة افتقدت لأهم مقومات الاستمرار الأسري وهو التوافق والهدوء النفسي والدفء العاطفي.

٨. ترديد بعض الآباء أن الفتاة منذ ولادتها حتى كبرت أو أنهت تعليمها الجامعي قد كلفت الأسرة الكثير من المصاريف لذا يجب استرداد شيئاً من هذا المال من خلال رفع

قيمة المهر:

من يستمتع لهذه الآراء من الآباء يشعر وكأنه يبيع ويشترى في سلعة من السوق، وفي ذلك امتهان لكرامة المرأة وإهدار الكرامتها.

نهادج من حالات غلاء المهور^{١٥}

الحالة الأولى:

قد ذكرت فتاة – لم تذكر اسمها – التي تبلغ من العمر (٢٥) عاماً، أنها في حال فكرت بالزواج، فإنها تريد شاباً مقتدر مالياً، ومن عائلة معروفة وعريقة (يملك جاهاً ومالاً)، بغض النظر عن ثقافته وتحصيله العلمي، وذلك لتلبية جميع احتياجاتها ومتطلباتها.

¹⁴ المرجع نفسه.

¹⁵ استندنا في ذلك على: إسلام نور، العزوف عن الزواج ظاهرة اجتماعية مردها سوء الوضع الاقتصادي وغلاء المهور، جريدة الرأي

الأردنية. نقلاً عن: موقع مجلة العلوم الاجتماعية، <http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=1281>

المغفلة في المهور زادت من العنوسة ومن عزوف الشباب عن الزواج، نقلاً عن:

<http://www.moshreq.com/forum/showthread.php?p=147004&langid=6>

<http://www.dw-world.de/dw/article/0,6072403,00.html>

الحالة الثانية:

أيمن الذي يبلغ من العمر (٢٨) عاما، ذكر أن فكرة الزواج أصبحت تشكل له كابوسا، ويفضل عدم الحديث عنه إطلاقا، ويعود ذلك إلى عدم قدرته على تلبية متطلبات الحياة الزوجية، بسبب غلاء المهور، حيث أصبح لأهل الفتاة مطالب لا يستطيع أن يتحملها الشاب.

الحالة الثالثة:

قالت "ريما" البالغة من العمر (٢٤) عاما، أنها مخطوبة منذ خمس سنوات من أحد أقاربها، ولم يتم الزواج لأنه لا يستطيع توفير متطلبات ونفقات الزواج.

الحالة الرابعة:

"فاطمة" بلغت من العمر (٣٥) عاما، وهي موظفة، في بداية حياتها الوظيفية كانت تسخر راتبها ووقتها وجهدها لمساعدة والدها في تحمل نفقات ومصاريف البيت. وكلما جاء شاب يتقدم لخطبتها كان والدها يرفضه، دون علمها بقدوم الخطاب. ومع كبر أختها الذين كانت ترعاهم، كلهم تزوجوا وتكروا لها، ورغم ذلك لازالت هي المعيل الوحيد للأسرة.

الحالة الخامسة:

تقول "هدى" تقدم أكثر من شاب لخطبتها، إلا أنها سمعت والدها ينفر الشباب منها بادعائه أنها تعاني من "مرض نفسي"، ولم يسمح لهم بالزواج، وهي تعمل الآن على خدمة أختها وزوجاتهم.

الحالة السادسة:

قالت "ياسين" التي تزوجت من فترة قريبة أنه كان قيمة مهرها (٣٥٠٠) دينار أردني، ورغم ذلك لم تستطع أن تغط كافة نفقات ومتطلبات تجهيزات العرس. حيث ارتفع ثمن الذهب أضعاف ما كان عليه قبل الحصار. وختمت قولها أنه "مازال زوجها مديونا بآلاف الدولارات".

الحالة السابعة:

قالت "أم شهاب": كان قيمة مهري (١٢٠٠) دينار أردني لما تزوجت عام ٢٠٠٢م، والحمد لله وفرت كافة متطلبات الزواج، لأن الأشياء كانت وقتها أرخص بكثير.

التعليق على الحالات:

الحالات السابقة هي استطلاع لآراء شباب وفتيات من المجتمعين الأردني والفلسطيني. وقد عكست هذه الحالات أهم الأسباب والدوافع التي تقف وراء ارتفاع ظاهرة العنوسة عن الفتيات، وعزوف الشباب عن الزواج. وبالنظر إلى أعمار العينات السابقة نجد أنهم قد

تجاوزوا سن الخامسة والعشرين. وقد بينت الآراء المستطلعة إلى أي حد تشكل ظاهرة "غلاء المهور" مشكلة تؤرق الكثير من الشباب والفتيات في المجتمعات العربية، وهذا ما أكدته العديد من الإحصائيات والاستطلاعات التي استندنا عليه في مواضع مختلفة. وأهم الأسباب التي دعت إلى رفع المهور كما بينتها الحالات السابقة:

(١) الحالة الأولى ركزت على عنصر "التفاخر والتباهي والوجاهة" كأحد أسباب ارتفاع المهور، في حين تجاهلت الحالة عامل "التعليم والثقافة" عند من يتقدم لخطبتها، وهذا يؤكد النزعة المادية والبذخ والإسراف عند مثل هذه الفتاة. ولا أظن هكذا حالة زواج سيكتب لها الاستمرار والنجاح والاستقرار الأسري في ظل تقديم الجانب المادي على بقية الجوانب الأخرى.

(٢) الحالتان الثانية والثالثة بينتا أن من أسباب عزوف الشباب عن الزواج هو غلاء المهور وارتفاع وكثرة متطلبات الحياة الزوجية التي يعجز الشباب عن توفيرها.

(٣) الحالة الرابعة عكست جشع الأب ونزعه الإتكالية، واستغلاله لوظيفة وراتب الابنة لتتفق على البيت، ومن أجل ذلك بذل الأب جهده ليحرم ابنته من الزواج رغم كثرة الشباب المتقدمين لخطبتها.

(٤) في الحالة الخامسة وصلت الأنانية والتجرد من الإنسانية والأخلاق عند الأب أعلى درجاته حينما ادعى إصابة ابنته بمرض نفسي حتى ينفرد الشباب منها ويمنع كل من يتقدم لخطبتها، من أجل أن تبقى خادمة له ولزوجته وأولاده.

(٥) الحالة السادسة بينت إلى أي حد ساهم الحصار الصهيوني على قطاع غزة في رفع قيمة المهور.

(٦) الحالة السابعة هي على النقيض تماما من الحالة السادسة حيث عرضت نموذجا من نماذج قلة الاقتصاد في قيمة المهور في المجتمع الفلسطيني قبل الحصار الاقتصادي، وكيف ساهم الحصار الصهيوني على القطاع في رفع قيمة المهور.

المشكلات الاجتماعية المترتبة على ظاهرة غلاء المهور

(١) عزوف الشباب عن الزواج وما يترتب عليه من مشكلات اجتماعية متعددة:

في هذا الصدد يقول الباحث الفلسطيني كمال علاونة: "إن العزوف عن الزواج يسبب تآكلا في الأخلاق الحميدة ويدمر المجتمع ويحرمه من التكاثر الطبيعي الشرعي ويؤدي إلى نزوح شباب وفتيات نحو الفاحشة مع ما يسببه ذلك من ضياع لحقوق الأطفال ويجعل العلاقات الأسرية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي متوترة قلقة وغير مستقرة نفسيا واجتماعيا ودينيا

فتظهر حالات القتل على الشرف بسبب ارتكاب فاحشة الزنا والفتاة هي عادة الضحية في المجتمع في مثل هذه الحالات الانحرافية الشاذة عن الدين الإسلامي¹⁶.

٣) تنامي ظاهرة العنوسة عند الفتيات بشكل كبير:

تشير الإحصائيات الصادرة في العديد من المجتمعات العربية إلى ارتفاع هذه الظاهرة بصورة ملفتة للنظر بل وصلت في بعض المجتمعات إلى حد يؤرق الأسر خوفاً على مستقبل بناتهم.

في هذا المقام نسترشد ببعض الأرقام على سبيل المثال - لا الحصر -: في مصر وبحسب الإحصائيات الصادرة عن: "الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء" قد وصل عدد الشباب والفتيات الذين تجاوزوا سن الزواج ولم يسبق لهم الزواج (٩) مليون عانسا وعازفاً عن الزواج من أصل (٧٦) مليون نسمة. وفي السعودية فقد بلغ عدد العوانس (مليون) عانسا من أصل (٢٥) مليون نسمة مجمل المجتمع السعودي. وفي قطر بلغت النسبة (١٥%)، وفي الكويت (١٨%)، وفي البحرين (٢٠%)^{١٧}. أما في العراق فقد بلغ عدد العوانس (٣٦) مليون عانسا بحسب إحصائيات قناة الزواج الفضائية التي نشرت بتاريخ (٢٤/٥/٢٠٠٦م)، وفي الجزائر بلغت النسبة (٦١,٨%)، وفي الإمارات فقد بلغ عدد العوانس بحسب الإحصائيات الصادرة عن وزارة التخطيط سنة ١٩٩٥م (٣٥) ألف عانسا^{١٨}. أما في ليبيا فقد بلغت النسبة (٣٠%)، وفي كل من السودان والصومال (٢٠%)، وفي سلطنة عمان والمغرب (١٠%)، أما في سوريا ولبنان والأردن فهي في حدود (٥%)^{١٩}.

أما في فلسطين فمن الأسباب التي تساهم في تنامي ظاهرة العنوسة بالإضافة إلى الأسباب التي ذكرت في مواضع مختلفة وسابقة في البحث، وبحسب ما بينه الاستطلاع الذي أجري على الشباب والفتيات في قطاع غزة: "الفرق في المستوى الاقتصادي بين الشاب والفتاة" بنسبة (٤٢%)، "تفضيل زواج الأقارب" بنسبة (٣٦%)، الجدير بالذكر، أن هذه الظاهرة (زواج الأقارب) تنتشر عند العائلات ذوات الأملاك الكبيرة. وهذا التفضيل هو من باب الحفاظ على استمرار أملاك وموارث العائلة في صف أبناء العائلة، ومنع الغرباء من اختراق العائلة لينالوا من هذا الميراث ويعملوا على تفتيته وتجزئته. وهناك بعض الأسر التي تساوم الفتيات بين الزواج من الغرباء وبين حرمانها من الميراث، وهناك الكثير من الأدلة والشواهد في المجتمع الفلسطيني التي تؤكد هذه الحالة.

¹⁶ كمال إبراهيم علاونة، الزواج في فلسطين المباركة.. وتخفيض المهور وتبعات الخطبة والزواج المالية، نقلا عن: شبكة الإسرائا والمعراج، <http://www.israji.net/vb/t1014/>

¹⁷ نهى عدنان قرطاجي، العنوسة معاناة إنسانية تهدد البناء الاجتماعي. نقلا عن: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، <http://saaid.net/book/open.php?cat=6&book=3610>

¹⁸ فضيلة عرفات، ظاهرة تأخير سن الزواج (العنوسة) في المجتمع العراقي، مرجع سابق.
¹⁹ العنوسة في المجتمع العربي، مرجع سابق.

أخيراً من أسباب العنوسة في المجتمع الفلسطيني انشغال المرأة بالوظيفة (٢٢%)، حيث أن هناك الكثير من الفتيات اللواتي يفضلن أعمالهن على الزواج، ويمضي بهن العمر من حيث لا يدريين وفي نهاية المطاف يصنفن في صفوف العوانس.

٣) التحلل الأخلاقي والقيمي حيث يسعى الكثير من الشباب والفتيات إلى إشباع الرغبات والحاجات الجنسية عن طرق غير مشروعة:

من هذه الطرق: زيارة المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، تبادل وتوزيع المقاطع الإباحية عبر الجوالات والبلوتوث، مشاهدة الصور الخليعة، متابعة المجالات الفاضحة، توزيع الأقراص المدمجة التي تحتوي على مقاطع مخلة بالأداب، انتشار الأعضاء التناسلية المطاطية عند الجنسين – وهي ظاهرة جديدة على المجتمع الغزي –.

٤) انتشار ظاهرة الزنا في أوساط الشباب والفتيات:

من يتابع المواقع الإخبارية يجد أنه لا يمر يوم إلا ونقرأ فيه خبراً أو أكثر من قبيل: الإمساك بخلايا تعمل على نشر الرذيلة في أوساط الشباب والفتيات، القبض على شبكات للدعارة والعمل على تفكيكها، قتل على قضايا شرف.

٥) قد يؤدي غلاء المهور في بعض الأحيان إلى اختطاف الفتيات والتزوج بهن من الشباب بدون رضی أو علم من أهلن، وما يتبع ذلك من مشاكل^{٢٠}.

٦) يشجع غلاء المهور على انتشار ظاهرة "الزواج العرفي"، الذي ليس فيه أية التزامات أسرية.

٧) الزواج من أجنبيات هرباً من نار غلاء المهور:

في ظل ارتفاع المهور، ومن باب الهروب من نيران المهور المرتفعة فإن الشباب يتجهون نحو الزواج من الأجنبيات (من غير الفلسطينيات) وحسبما بين استطلاع الرأي أن (٢٣%) من الشباب الفلسطيني يفضلون الزواج من أجنبيات – لاسيما الأعاجم – لأن هذا الزواج لا يحتاج إلى تكاليف كبيرة مثلما هو الحال في المجتمع الفلسطيني.

طرق للوقاية والحد من ظاهرة غلاء المهور

(١) العمل الجاد على بيان خطورة مشكلة "غلاء المهور" على البناء الاجتماعي على المدى البعيد، حيث يترتب عليها التحلل الأخلاقي والاجتماعي ونشر الرذيلة والفاحشة في أوساط الشباب والشابات الذين تجاوزت أعمارهم سن الزواج. ويجب أن يناط هذا الدور بخطباء المساجد والدعاة.

²⁰ كمال إبراهيم علاونة، الزواج في المجتمع الفلسطيني، <http://kamalalawneh.maktoobblog.com/1615127>

(٢) تفعيل دور وسائل الإعلام المختلفة (المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية) لبيان موقف الإسلام من مسألة الزواج وغلاء المهور، ودعوته للزهد في قيمة المهر، والإشارة إلى المخاطر الأخلاقية والاجتماعية والقيمية المترتبة على غلاء المهور وانتشار ظاهرتي العنوسة والعزوف عن الزواج، ويكون ذلك من خلال البرامج المتنوعة والملصقات والنشرات والحملات الإعلامية والمواقف الكوميديّة المعبرة والهادفة.

(٣) عقد محاضرات وندوات تثقيفية وتوعوية للأسر والأهالي لبيان موقف الإسلام من الزواج وترغيبه في الزواج والحث عليه. وبيان المشكلات النفسية والاجتماعية والسلوكية المترتبة على ظاهرة غلاء المهور على الشباب والفتيات الذين تجاوزوا سن الزواج.

(٤) العمل إلى إيجاد المؤسسات الاجتماعية التي تتبنى قضايا تيسير الزواج في المجتمع الفلسطيني من خلال توفير القروض والمنح والمساعدات المالية، حتى تخفف على كاهل الشباب بعضاً من تكاليف الزواج الباهظة.

(٥) مشروعات الزواج الجماعي: إن مثل هذه المشروعات موجودة في المجتمع الفلسطيني لكنها ليست فعالة بشكل كبير ومنتظم، إنما هي مشاريع موسمية. ونظراً لعدم وجود مؤسسات فاعلة خاصة بهذا الأمر وترعى هكذا مشروعات فقد قامت الأحزاب السياسية الفلسطينية والجمعيات الخيرية التابعة لها لتسد هذه الثغرة التي عجزت مؤسسات المجتمع المدني القيام بها، فهناك العديد من مشروعات "الزواج الجماعي" التي نفذتها حركة حماس في أماكن مختلفة من القطاع، ومشروعات أخرى نفذتها حركة الجهاد الإسلامي في مدينة غزة، ومشروع آخر نظّمته حركة فتح في محافظة خان يونس سنة ٢٠٠٤م. في حين أن مثل هذه الأنشطة ليست من اختصاص الحركات والجماعات السياسية، وإنما يجب أن يكون هذا العمل من اختصاص مؤسسات المجتمع المدني.

(٦) العمل على توفير فرص عمل للشباب للحد من ظاهرة البطالة المستشرية في المجتمع بشكل مخيف وبنسب مرتفعة جداً، للوقوف في وجه غلاء المهور والارتفاع الفاحش للأسعار حتى يتسنى للشباب إكمال النصف الآخر من دينهم بالزواج. وقد بين استطلاع الرأي أن (٣٢%) يرون أن "الفرق في المستوى الاقتصادي بين الشاب والفتاة" هو من أسباب عزوف الشباب عن الزواج.

(٧) قيام الدعاة وقادة الرأي والعلماء بالمبادرة بتخفيف المهور عند تزويج بناتهم والابتعاد عن المظاهر المسرفة والكمالية المبالغ فيها في طقوس الزواج ليكونوا قدوة حسنة لمن خلفهم في المجتمع.

(٨) التخفيف من مظاهر الإسراف والبدخ في الكماليات والأشياء الثانوية في الأعراس وحفلات الزواج، كالعديد الزائد عن الحد في السيارات، والولائم الكبيرة، والكوافير،

وصالة الأفراح، والزخرفة والبهرجة، ومكبرات الصوت، والكاميرات الفيديو، والفرق الموسيقية الماجنة... إلخ.

(٩) العمل صياغة ميثاق شرف بين الوجهاء ومخاتير العائلات والدعاة يحث على تخفيف قيمة المهور لترغيب الشباب في الزواج وللحد من ظاهرة العنوسة في صفوف الإناث.

نتائج الاستطلاع الذي أجري على الشباب والفتيات في قطاع غزة

أولاً/ أسباب العنوسة عند الفتيات في المجتمع الفلسطيني:

| م | الفقرة | النسبة |
|----|---|--------|
| ١ | تدخل الأسرة في تحديد معايير الزواج | ٦٥% |
| ٢ | غلاء المهور | ٦٤% |
| ٣ | رغبة الفتاة في إنهاء التعليم الجامعي قبل الزواج | ٦١% |
| ٤ | الفرق في المكانة الاجتماعية (الحسب والنسب) | ٥٢% |
| ٥ | الفرق في المستوى الاقتصادي بين الشاب والفتاة | ٤٢% |
| ٦ | تفضيل زواج الأقارب | ٣٦% |
| ٧ | عزوف الشباب عن الزواج | ٣٢% |
| ٨ | عدم تمتع الفتاة بحظ وافر من الجمال | ٢٣% |
| ٩ | الزواج من أجنبيات (من غير الجنسية الفلسطينية) | ٢٣% |
| ١٠ | انشغال المرأة بالوظيفية | ٢٢% |

ثانياً/ أسباب عزوف الشباب الفلسطيني عن الزواج:

| النسبة | الفقرة | م |
|--------|--|----|
| ٨٤% | عدم القدرة على تأمين السكن ومتطلبات الزواج | ١ |
| ٨٣% | البطالة وعدم توفر فرص عمل | ٢ |
| ٧٥% | غلاء المهور | ٣ |
| ٣٢% | الشروط التعجيزية التي يضعها أهل الفتاة | ٤ |
| ٦٣% | البحث عن وظيفة | ٥ |
| ٥٦% | غلاء الأسعار | ٦ |
| ٤٦% | كمية الذهب المبالغ فيه عند الخطوبة | ٧ |
| ٤٢% | الفرق في المكانة الاجتماعية (الحسب والنسب) | ٨ |
| ٤٠% | الرغبة في إنهاء التعليم الجامعي قبل الزواج | ٩ |
| ٣٢% | الفرق في المستوى الاقتصادي بين الشاب والفتاة | ١٠ |

المراجع:

١. إسلام نور، العزوف عن الزواج ظاهرة اجتماعية مردها سوء الوضع الاقتصادي وغلاء المهور، جريدة الرأي الأردنية. نقلا عن: موقع مجلة العلوم الاجتماعية، <http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=1281>
٢. بسام أبو عليان، المشكلات الاجتماعية الناجمة عن الحصار، ورقة بحثية مقدمة إلى اليوم الدراسي بعنوان: "الحصار وانعكاساته على المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة"، جامعة القدس المفتوحة – خانيونس، السبت ١٩/١٢/٢٠٠٩م.
٣. السيد سابق، فقه السنة، ج ٢، ط ١، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٦.
٤. ظاهرة العنوسة وكيفية التعامل معها، http://7oryeat.blogspot.com/2011/01/blog-post_9667.html
٥. عمر أحمد خليل، المرأة والمثل الدارج في فلسطين، مجلة التراث والمجتمع، تصدر عن: جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، د.ت.
٦. العنوسة في المجتمع العربي، موقع: عالم بلا مشكلات، <http://www.noo-problems.com/vb/showthread.php?t=58290>
٧. غلاء المهور وراء عزوف الشباب عن الزواج، جريدة اليوم، <http://www.alamalyawm.com/ArticleDetail.aspx?artid=78375>
٨. فضيلة عرفات، ظاهرة تأخير سن الزواج (العنوسة) في المجتمع العراقي، مركز النور، <http://www.alnoor.se/article.asp?id=41149>
٩. قحطان الحاجي، أحكام المهر في القانون السوري، منتديات طلاب الحقوق – الزقازيق، <http://www.law-zag.com/vb/forum104/thread4725.html>
١٠. كمال إبراهيم علاونة، الزواج في فلسطين المباركة.. وتخفيض المهور وتبعات الخطبة والزواج المالية، نقلا عن: شبكة الإسراء والمعراج، <http://www.israj.net/vb/t1014>
١١. كمال إبراهيم علاونة، الزواج في المجتمع الفلسطيني، <http://kamalalawneh.maktoobblog.com/1615127>
١٢. محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج ٢، ط ١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٣.
١٣. المغالاة في المهور زادت من العنوسة ومن عزوف الشباب عن الزواج، نقلا عن: <http://www.moshreq.com/forum/showthread.php?p=147004&langid=6>
١٤. نهى عدنان قرطاجي، العنوسة معاناة إنسانية تهدد البناء الاجتماعي. نقلا عن: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، <http://saaid.net/book/open.php?cat=6&book=3610>